من تراب الطريق

(٣٩٢) الديـــن محبة (*)

الدين الذى أعنيه ، هو كل دين ، إسلاما كان أو مسيحية أو يهودية .. لم تنزل الأديان لبذر العداوة أو الكراهية أو الشقاق بين الناس .. الأديان دعوة ربانية للإخاء والمحبة ، والإخلاص والود والوفاء والرحمة .. فالإنسانية أسرة واحدة ، تنتمى إلى جذور واحدة ، وإلى أصل واحد .. وتدين كلها مهما اختلفت أديانها إلى رب واحد هو رب العالمين ..

تنتمى الإنسانية إلى نفس واحدة خلقها الله تعالى وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. وفى خطاب موجه إلى الناس كافة ، لا إلى أبناء دين بعينه ، يقول القرآن المجيد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] ويقول عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأنعام: ٩٨] ، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] .

يلتقى السلام والمحبة فى رسم صلة الإنسان فى الإسلام بأخيه الإنسان .. فلفظ «السلام» هو تحية الإسلام ، ولفظ الإسلام ذاته : عنوان الدين ، منحوت من مادة «السلام» ، لأن السلام والإسلام يلتقيان فى توفير

(*) المال١٩/ ١/ ٢٠١٠

الأمن والطمأنينة والسكينة لبنى الإنسان .. فرسول القرآن عليه السلام : «رحمة مهداة» .. وهو آخر عناقيد شجرة الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى هدية من السماء إلى العالمين .. وبذلك أرسل صفيه محمدًا عليه السلام ، فيقول له الحق عز وجل : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .. وكان عليه السلام يقول للناس : «إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا».. ويقول : «السلام قبل الكلام» ..

المحبة هى الجسر الذى يؤلف بين القلوب ، ويفشى السلام ، ويطهر النفوس من أدران الحقد وأسباب البغضاء والعداوة .. لا إيمان بلا محبة ، ولا محبة بلا تآلف ومودة .. وفى حديث رسول القرآن عليه السلام : «لا تؤمنوا حتى تحابوا .. ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ ، أفشوا السلام بينكم» ..

وفى الحديث الشريف : «إن من عباد الله أناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى . قالوا : يا رسول الله ، تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور .. لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» .. لذلك كان المؤمن آلف ومألوف ، ولا خير فيمن لا يَأْلف ولا يُؤْلف . وقيل أيضا : «ما دخل الرفق فى شىء إلاّ زانه ، وما خرج من شىء إلاّ شانه» ، «إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» ..

لم تنزل الأديان السماوية لبث العداوة والكراهية ، وإنما لإيمان وهداية

الناس .. والإيمان معرفة بالله وثقة به ويقين فيه سبحانه ، ومحبة وعطاء ومنفعة للناس .. لا يوجد فى الأديان أسباب ولا حض أو تحريض على الكراهية والعداء .. فالمصالح والأهواء والمآرب والعداوات صناعة آدمية ، وليست ولا يمكن أن تكون دعوة إلهية ..

وكما رأينا دعوة الإسلام للإخاء والمحبة ، نرى ذلك حاضرا أيضا فى المسيحية : ديانة المحبة .. كان مجد المسيحية الحقيقى الهداية والمحبة ، دعت وتدعو إلى ملكوت السماء فى الضمير والوجدان ، ويقول السيد المسيح عليه السلام للناس : «لن تربح شيئا إذا كسبت كل شىء وخسرت نفسك» !.. لا تبال هداية المسيح بظاهر الدنيا كله إذا سلم للإنسان باطن ضميره .. مجده الحقيقى هذه الدعوة الهادية إلى نقاء السريرة ، وإشاعة المحبة .. من على الجبل يلقى عليه السلام موعظته إلى جموع الناس فيقول لهم : «طوبى للمساكين بالروح ، فإن لهم ملكوت السماوات ، طوبى للحزانى ، فإنهم سيعزون . طوبى للودعاء ، فإنهم سيرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البر ، فإنهم سيشبعون . طوبى للرحماء ، فإنهم سيرحمون . طوبى لأنقياء القلب ، فإنهم سيرون الله . طوبى لصانعى السلام ، فإنهم سيدعون «أبناء الله» . طوبى للمضطهدين من أجل البر ، فإن لهم ملكوت السماوات . طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم ، وقالوا فيكم من أجلى كل سوء كاذبين . افرحوا وتهللوا ، فإن مكافأتكم فى السماوات عظيمة . فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء من قبلكم» ! (متى ٥ : ٣ ـ ١٢) .

مثلما يقرأ المسلم فى القرآن المجيد، قول الحق جل وعلا : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ [البقرة:٢٢٤] ، فإن المسيحى يقرأ من موعظة السيد المسيح على الجبل : «سمعتم أنه قيل للأقدمين : لا تحالف قسمك .. أما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا أبدًا» (متى ٥ : ٣٤ ، ٣٥) .. «وسمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك . أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم» (متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٥) .. يمضى المسيحى فى قراءة الأناجيل فيرى فيما يراه قول السيد المسيح عليه السلام : «لا تدينوا لئلا تدانوا . فإنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم « (متى ٧ : ١ ـ ٣) .. هذه الباحة الإنسانية الفياضة المعطرة بالمحبة والود والتسامح والإخاء ، تقيم جسور المودة بين المسيحىّ وبين غيره من أبناء الديانات .. هذه المودة التى تحدث عنها القرآن المجيد ، وبذلها النجاشى ونصارى الحبشة للمسلمين ، حتى حزن نبى القرآن عليه السلام حزنا شديدا حينما بلغته وفاة النجاشى عرفانا بما قدمه للمهاجرين من كرم الضيافة وصدق المودة وعطر المحبات .. وكما لا يوجد فى الإسلام دعاوى للإثم والعدوان ، فإنه لا يوجد بمدونات المسيحية ، لا فى الأناجيل ، ولا فى الرسائل الملحقة بالعهد الجديد ، ما يورى بعداوة مضمرة للأغيار ، ولا حض علي كراهة أو مقت أو عداء .. العداوات صناعة آدمية ، أما الأديان والمدونات المقدسة فتفيض بعطر المحبة والإخاء .